المحاضرة السادسة

الجداجد . ثم على الأجرد ثم سلك بهما ذا سلم من بطن اعداء مدلجة ثعهن . ثم على العبابيد ثم اجاز بهما الفاجة .

قال ابن هشام : ثم هبط بهما العرج وقد أبطأ عليهما بعض ظهرهم . فحمل رسول الله (ص) رجل من أسلم يقال له أوس بن حجر على جمل له يقال له ابن الرداء ؛ الى المدينة ؛ وبعث معه غلاماً له يقال له مسعود بن هنيدة . ثم خرج بهما دليلهما من العرج : فسلك بهما ثنية العائر عن يمين ركوبة : حتى هبط بهما بطن رئم . ثم قدم بهما قباء على بني عمرو بن عوف ؛ لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين ؛ حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تعتدل .

قدوم قباء

عن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة ؛ قال : حدثني رجال من قومي ؛ من أصحاب رسول الله (ص) قالوا :

لما سمعنا بمخرج رسول الله (ص) من مكة : وتوكفنا [1] قدومه ؛ كنا نخرج اذا صلينا الصبح الى ظاهر حرتنا ننتظر رسول الله (ص) . فوالله لا نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال فاذا لم نجد ظلاً دخلنا ؛ وذلك في أيام حارة ؛ حتى اذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله (ص) جلسنا كما كنا نجلس : حتى اذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا . وقدم رسول الله (ص) حين دخلنا البيوت . فكان اول من رآه رجل من اليهود . وقد رأى ما كنا نصنع وأنا ننتظر قدوم رسول الله (ص) علينا ؛ فصرخ بأعلى صوته : يا بني قيلة [2] ؛ هذا جدكم [3] قد جاء .

---

(١) توكفناه : استشعرناه وانتظرناه .

(٢) هم الانصار ، جميعاً ، وقيلة جدة كانت لهم .

(٣) الجد : الحظ

Scanned by CamScanner

فخرجنا الى رسول الله (ص) في ظل نخلة : ومعه أبو بكر رضي الله عنه في مثل سنه ، وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله (ص) قبل ذلك، وركبه الناس [1] وما يعرفونه من أبي بكر ، حتى زال الظل عن رسول الله (ص) فقام أبو بكر فأظله بردائه فعرفناه عند ذلك .

قال ابن اسحاق :

فنزل رسول الله (ص) – فيما يذكرون – على كلثوم بن هدم ، ويقال : بل نزل على سعد بن خيثمة . ويقول من يذكر أنه نزل على كلثوم بن هدم . إنما كان رسول الله (ص) اذا خرج من منزل كلثوم بن هدم جلس للناس في بيت سعد بن خيثمة، وذلك أنه كان عزباً لا أهل له، وكان منزل الأعزاب من اصحاب رسول الله (ص) من المهاجرين .

ونزل أبو بكر الصديق رضي الله عنه على حبيب بن إساف . ويقول قائل : كان منزله على خارجة بن زيد .

وأقام علي بن أبي طالب عليه السلام بمكة ثلاث ليال وأيامها ، حتى أدى عن رسول الله (ص) الودائع التي كانت عنده للناس ، حتى اذا فرغ منها لحق برسول الله (ص) ، فنزل معه على كلثوم بن هدم .

فأقام رسول الله (ص) بقباء في بني عمرو بن عوف ، يوم الاثنين ، ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء ، ويوم الخميس ، وأسس مسجده .

قدوم المدينة

ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة ، فأدركت رسول الله (ص) الجمعة في بني سالم بن عوف ، فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي ، وادي رانوناء ، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة .

Scanned by CamScanner

فأتاه عتبان بن مالك ، وعباس بن عبادة بن نضلة ، في رجال من بني سالم بن عوف ، فقالوا : يا رسول الله ، أقم عندنا في العدد والعُدّة والمنعة . قال : خلوا سبيلها ، فانها مأمورة ، لناقته . فخلوا سبيلها ، فانطلقت حتى اذا وازنت دار بني بياضة تلقاه زياد بن لبيد ، وفروة بن عمرو ، في رجال من بني بياضة ، فقالوا : يا رسول الله ، هلم الينا ، الى العدد والعدة والمنعة . قال : خلوا سبيلها فانها مأمورة . فانطلقت حتى اذا مرت بدار بني ساعدة ، اعترضه سعد بن عبادة ، والمنذر بن عمرو ، في رجال من بني ساعدة ، فقالوا يا رسول الله ، هلم الينا الى العدد والعدّة والمنعة . قال : خلوا سبيلها فانها مأمورة . فخلوا سبيلها فانطلقت ، حتى اذا وازنت دار بني الحارث بن الخزرج ، اعترضه سعد بن الربيع ، وخارجة ابن زيد وعبد الله بن رواحة ، في رجال من بني الحارث بن الخزرج فقالوا : يا رسول الله هلم الينا ، الى العدد والعدة والمنعة . قال : خلوا سبيلها فانها مأمورة . فخلوا سبيلها فانطلقت . حتى اذا مرت بدار بني عدي بن النجار ، وهم أخواله دنيا ، — أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو ، احدى نساءهم — اعترضه سليط بن قيس وأبو سليط أسيرة بن أبي خارجة ، في رجال من بني عدي بن النجار ، فقالوا : يا رسول الله ، هلمّ الى أخوالك ، الى العدد والعدة والمنعة . قال : خلوا سبيلها فانها مأمورة . فخلوا سبيلها فانطلقت .

حتى اذا أتت دار بني مالك بن النجار ، بركت على باب مسجده (ص) وهو يومئذ مِربَد [1] لغلامين يتيمين من بني النجار — وهما في حجر معاذ بن عفراء — سهل وسهيل ابني عمرو . فلما بركت ورسول الله (ص) عليها لم ينزل وثبت ، فسارت غير بعيد ورسول الله (ص) واضع لها زمامها لا يثنيها به ، ثم التفتت الى خلفها ، فرجعت الى مبركها أول مرة ، فبركت فيه ، ثم

---

(١) المربد : الموضع الذي يجفف فيه التمر .

Scanned by CamScanner

تحلحلت [1] وأرزمت [2] ووضعت جرانها [3] ، فنزل عنها رسول الله (ص) فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله فوضعه في بيته، ونزل عليه رسول (ص) وسأل عن المربد : لمن هـــو ؟ فقال له معاذ بن عفراء : هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابني عمرو ، وهما يتيمان لي وسأرضيهما منه ، فاتخذه مسجدا .

فأمر به رسول الله (ص) ان يبنى مسجدا ، ونزل رسول الله (ص) على أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه ، فعمل فيه رسول الله (ص) ليرغب المسلمين في العمل فيه فعمل فيه المهاجرون والأنصار ، ودأبوا فيه ، فقال قائل من المسلمين :

لئن قعدنا والنبي يعمل لذاك منا العمل المضلل

وارتجز المسلمون ، وهم يبنونه ، يقولون . « لا عيش الا عيش الآخرة ، اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة » . فيقول رسول الله (ص) : « لا عيش إلا عيش الآخرة ، اللهم ارحم المهاجرين والأنصار » .

فأقام رسول الله (ص) في بيت أبي أيوب حتى بني له مسجده ومساكنه، ثم انتقل الى مساكنه من بيت أبي أيوب ، رحمة الله عليه ورضوانه .

قال أبو أيوب :

لما نزل علي رسول الله (ص) في بيتي نزل السفل وأنا وأمُّ أيوب في العلو، فقلت له : يا نبيَّ الله ، بأبي أنت وأمي، اني لأكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي ، فلظهر انت فكن في العلو ، وننزل نحن فنكون في السفل . فقال : يا أبا أيوب ، إن أرفق بنا وبمن يغشانا ان نكون في سفل البيت .

---

(١) تحلحلت : تحركت .

(٢) أرزمت : صوتت .

(٣) الجران : ما يصيب الارض من صدر الناقة وباطن حلقها .

Scanned by CamScanner

قال : فكان رسول الله (ص) في سفله وكنا فوقه في المسكن ، فلقد انكسر حُبٌ[1] لنا فيه ماء ، فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة[2] لنا ما لنا لحاف غيرها ننشف بها الماء ، تخوفاً أن يقطر على رسول الله (ص) منه شيء يؤذيه .

قال : وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث به اليه، فاذا رد علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب موضع يده ، فأكلنا منه نبتغي بذلك البركه ، حتى بعثنا اليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له بصلا أو ثومـــا ، فرده رسول الله (ص) ، ولم أر ليده فيه أثرا ، فجئته فزعاً فقلت : يا رسول الله بأبي أنت وأمي ، رددت عشاءك ولم أر فيه موضع يدك ، وكنت اذ رددتة علينا تيممت انا وأم أيوب موضع يدك ، نبتغي بذلك البركة . قال اني وجدت فيـه ريح هذه الشجرة وأنا رجل أناجي ، فأما أنتم فكلوه .

قال : فأكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة بعد .

قال ابن اسحاق : وتلاحق المهاجرون الى رسول الله (ص) فلم يبقي بمكة منهم أحد إلا مفتون أو محبوس ، ولم يوعب أهل هجرة من مكة بأهليهـم وأموالهم الى الله تبارك وتعالى والى رسول الله (ص) الا أهل دور مسمون : بنو مظعون من بني جمح ، وبنو جحش بن رئاب حلفاء بني أميـه ، وبنو البُكير من بني سعد بن ليث حلفاء بني عدي بن كعب ، فان دورهم غلقت بمكة هجرة ، ليس فيها ساكن .

الخطب والعهود بالمدينة

فأقام رسول الله (ص) بالمدينة اذ قدمهـا شهر ربيع الأول الى صفر من

السنة الداخلة ، حتى بني له فيها مسجده ومساكنه واستجمع له اسلام هذا الحي من الأنصار فلم تبق له دار من دور الأنصار الا أسلم أهلها ، الا ما كان من خطمة وواقف ووائل وأمية ، وتلك أوس الله ، وهم حي من الأوس ، فانهم أقاموا على شركهم .

وكانت (أول خطبة) خطبها رسول الله (ص) — فيما بلغني عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، نعوذ بالله ان نقول على رسول الله (ص) ما لم يقل — أنه قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله . ثم قال :

أما بعد ، أيها الناس ، فقدموا لأنفسكم . تعلمُن والله ليُصعقن أحدكم ، ثم ليدَعنّ غنمة ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسولي فبلغك ، وآتيتك مالاً وأفضلت عليك ؟ فما قدمت لنفسك ؟ فلينظر يميناً وشمالا فلا يرى شيئاً ، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم . فمن استطاع أن يقيَ وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فان بها تجزى الحسنة بعشر أمثالها ، الى سبعمئه ضعف . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ثم خطب رسول الله (ص) الناس مرة أخرى فقال :

ان الحمد لله (١) ، أحمده وأستعينه ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له . إن أحسن الحديث كتاب الله تبارك وتعالى ، وقد أفلح من زينه الله في قلبه . وأدخله في الاسلام بعد الكفر ، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس ، إنه أحسن الحديث وأبلغه ، أحبوا ما أحب الله ، أحبوا الله من كل قلوبكم ، ولا تملُّوا كلام الله وذكره

ولا تقس عنه قلوبكم ، فإنه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفي ، قد سماه الله خيرته من الأعمال [1] ومصطفاه من العباد [2] والصالح من الحديث ومن كل ما أوتي الناس الحلال والحرام . فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، واتقوه حق تقاته ، واصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم وتحابّوا بروح الله بينكم . إن الله يغضب أن يُنكث عهدُه . والسلام .

★ ★ ★

وكتب رسول الله (ص) كتاباً بين المهاجرين والأنصار ، وادَع فيه يهودَ وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم واشترط عليهم :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم ، وجاهد معهم . إنهم أُمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على ربعتهم [3] يتعاقلون بينهم [4] وهم يفدون عانيَهم [5] بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى ، كل طائفة تَفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى ، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى ، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

---

(١) اي الذكر وتلاوة القرآن لقوله تعالى . (يخلق ما يشاء ويختار .

(٢) اي وسمي المصطفى من عباده .

(٣) الربعة : الحال التي وجدهم عليها الاسلام .

(٤) اي يعقل بعضهم عن بعض . والعقل : الدية .

(٥) العاني . الأسير .

Scanned by CamScanner

وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى ، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وإن المؤمنين لا يتركون مُفْرحاً [1] بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء او عقل . وألا يخالف مؤمنٌ مولى مؤمن دونه ، وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم او ابتغى دسيعة [2] ظلم او إثم او عدوان او فساد بين المؤمنين ، وان أيديهم عليه جميعاً ، ولو كان ولد أحدهم . ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر ، ولا ينصر كافراً على مؤمن ، وان ذمة الله واحدة ، يجير عليهم أدناهم . وان المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس ، وانه من تبعنا من يهودَ فان له النصر والأسوة ، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم . وان سِلْمَ المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله الا على سواء وعدل بينهم . وان كل غازية غزت منا يعقب بعضها بعضاً . وان المؤمنين يُبيء [3] بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله . وان المؤمنين المتقين على أحسن هَدي وأقومه . وانه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً ، ولا يحول دونه على مؤمن ، وانه من اعتبط [4] مؤمناً قتلاً عن بيّنة فانه قَوَدٌ به الا أن يرضى وليُّ المقتول ، وان المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم الا قيام عليه . وانه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً ولا يؤويه ، وان من نَصَره أو آواه فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة . ولا يؤخذ منه

---

(١) المفرح : المثقل بالدين والكثير العيال .

(٢) الدسيعة : العظيمة .

صرف ولا عدل . وانكم مهما اختلفتم فيه من شيء فان مرده الى الله عز وجل والى محمد (ص) .

وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وان يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم ، الا من ظلم وأثم فانه لا يوتغ [1] الا نفسه وأهل بيته . وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف ، وان ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف ، وان ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف ، وان ليهود بني جشم ، مثل ما ليهود بني عوف ، وان ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف ، وان ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف ، الا من ظلم وأثم فانه لا يوتغ الا نفسه وأهل بيته . وان جفنه بطن من ثعلبة كأنفسهم ، وان لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف ، وان البر دون الاثم [2] وان موالي ثعلبة كأنفسهم ، وان بطانة يهود كأنفسهم ، وانه لا يخرج منهم أحد الا باذن محمد (ص) وانه لا ينحجز على ثار جرح ، وانه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته . الا من ظلم . وان الله على أبر هذا . وان على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم . وان بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وان بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم . وانه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وان النصر للمظلوم . وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين [3] . وان يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة ، وان الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وانه لا تجار حرمة الا باذن أهلها . وانه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث او اشتجار يخاف فساده فان مرده الى الله عز وجل والى محمد رسول

---

(١) يوتغ : يهلك .

(٢) اي ان البر والوفاء ينبغي ان يكون حاجزاً عن الاثم .

(٣) اي ان الله وحزبه المؤمنين على الرضى به .

Scanned by CamScanner